الفصـــل الرابع

جهود الشيخ الأمين في توضيح اليوم الآخر

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول

بعض أشراط الساعة

المبحث الثاني

القبـــر

المطلب الأول : عذاب القبر .

المطلب الثاني : سماع الموتى .

المبحث الثالث

البعـــث

المطلب الأول : براهين البعث .

المطلب الثاني : الحشر .

المبحث الرابع

الميـــزان

المبحث الخامس

الصـــراط

المبحث السادس

الجنـــة

المطلب الأول : نعيمها وبقاؤها .

المطلب الثاني : رؤية المؤمنين ربهم في الجنة .

المطلب الثالث : هل رأى رسول الله ربه ليلة المعراج .

المبحث السابع

النّـــــار

المطلب الأول : عذابها .

المطلب الثاني : الرد على من قال بفنائها .

الفصل الرابع

جهود الشيخ الأمين رحمه الله في توضيح عقيدة السلف في اليوم الآخر

تمهيد:

الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان الذي لايتم إيمان العبد إلا به، فمن أنكره فقد كفر؛ قال تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾(٢).

وقد عده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أركان الإيمان في حديث جبريل المشهور، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر: خيره وشره»(٣).

ومن مقدمات اليوم الآخر ما أخبر به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما يكون قبل الموت من أشراط الساعة وأماراتها، وما يكون بعد الموت من فتنة القبر ونعيمه وعذابه، والنفخ في الصور، والبعث، والنشور، والحشر، والحوض، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، ورؤية الله سبحانه وتعالى في الجنة، وغير ذلك من أحوال الآخرة التي أخبرنا الله ورسوله عنها، والتي ينبغي على العبد تصديقها، والعمل بما يجلب مرضاة الله، ويجنب سخطه؛ قال تعالى: ﴿اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر

(١) سورة البقرة، الآية[١٧٧].
(٢) سورة النساء، الآية [١٣٦].
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه١/ ٣٧ .

ولاتعثوا في الأرض مفسدين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إنما توعدون لصادق * وإنّ الدين لواقع﴾[2].

وقد اهتمّ الشيخ الأمين رحمه الله بهذا الركن العظيم، فأشار في في ثنايا مؤلفاته إلى كثير من أحوال اليوم الآخر، وفصلّ في بعضها، وأجمل في البعض الآخر. ومما فصلّ فيه رحمه الله من هذه الأحوال: سماع الموتى، والبعث، والصراط، وأبدية النار، والردّ على من قال بفنائها، وبرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

وسوف أرتب ما ذكره الشيخ رحمه الله عن اليوم الآخر، كما يمرّ بها العبد في رحلته إلى دار القرار.

وقد وصف رحمه الله رحلة الإنسان من بدء خلقه إلى استقراره في إحدى الدارين في الآخرة؛ موضحاً سبب تسميتها بالدار الآخرة؛ فقال رحمه الله: (وإنما قيل لتلك الدار: الآخرة؛ لأنها هي آخر المنازل، فلا انتقال عنها البتة إلى دار أخرى. والإنسان قبل الوصول إليها ينتقل من محلّ إلى محلّ؛ فأول ابتدائه من التراب، ثمّ انتقل من أصل التراب إلى أصل النطفة، ثمّ إلى العلقة، ثمّ إلى المضغة، ثمّ إلى العظام، ثمّ كسا الله العظام لحماً، وأنشأها خلقاً آخر، وأخرجه للعالم في هذه الدار، ثمّ ينتقل إلى القبر، ثمّ إلى الحشر، ثمّ يتفرقون ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً﴾[3]، فسالك ذات اليمين إلى الجنة، وسالك ذات الشمال إلى النار، ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون*فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون* وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾[4]، فإذا دخل أهل الجنة الجنة،

(١) سورة العنكبوت، الآية [٣٦].
(٢) سورة الذاريات، الآيتان [٥-٦].
(٣) سورة الزلزلة، الآية [٦].
(٤) سورة الروم، الآيات [١٤-١٦].

وأهل النار النار، فعند ذلك تلقى عصا التسيار، ويذبح الموت، ويقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النارخلود فلا موت. ويبقى ذلك دائما لا انقطاع له ولاتحول عنه إلى محلّ آخر. فهذا معنى وصفها بالآخرة؛ كما أوضحه جلّ وعلا بقوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين* ثمّ إنكم بعد لميتون* ثمّ إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ (١)»(٢).

(٣) سورة المؤمنون، الآيات [١٢-١٦].

(٤) أضواء البيان ٢٦٣-٢٦٤ . وانظر المصدر نفسه ٥/ ٤٢ . ومعارج الصعود ص١٥٢ .
وهذا المعنى موجود بصوت الشيخ رحمه الله في الشريط رقم [٩] من تفسير سورة الأنعام، عند تفسير قوله تعالى: ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾ (سورة الأنعام، الآية ٩٢).

المبحث الأول

بعض أشراط الساعة

تمهيد:

الساعة من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، ولم يطلع عليه لاملكاً مقرباً، ولانبيًا مرسلاً؛ وقال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة﴾(١)

ومن الأحاديث الدالة على ذلك حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما، قال: سمعت النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يموت بشهر: «تسألونني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة» (٢). وكذا حديث جبريل المشهور حين قال للنبيّ، صلى الله عليه وسلم: فأخبرني عن الساعة؟ فقال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»(٣).

فكل هذه النصوص على أنّ الساعة لايعلمها إلا الله وحده.

وهذا ما أوضحه الشيخ الأمين رحمه الله، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلا هو﴾ الآية(٤):

« هذه الآية الكريمة تدلّ على أنّ وقت قيام الساعة لايعلمه إلا الله جلّ وعلا، وقد جاءت آيات أخر تدلّ على ذلك أيضاً كقوله تعالى: ﴿يسألونك

(١) سورة الأعراف، الآية [١٨٧].
(٢) أخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ١٩٦٦
(٣) أخرجه مسلم في الصحيح ١/ ٣٧.
(٤) سورة الأعراف، الآية [١٨٧].

عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها* إلى ربك منتهاها﴾[1]، وقوله: ﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو﴾[2]. وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنها الخمس المذكورة في قوله تعالى: ﴿إنّ الله عنده علم الساعة﴾ الآية[3]»[4].

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أخفى الساعة عن الخلق، فقد جعل لها علامات تدلّ على قرب وقوعها، وردت في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد قسم العلماء هذه العلامات إلى علامات صغرى، وعلامات كبرى، وهي كثيرة جداً.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى بعض هذه العلامات:

(١) سورة النازعات، الآيات[٤٢-٤٤].
(٢) سورة الأنعام، الآية [٥٩].
(٣) سورة لقمان، الآية [٣٤].
(٤) أضواء البيان ٣/ ٣٣٩. وانظر المصدر نفسه ٦/ ٦٠٤ .

المطلب الأول

بعض العلامات الصغرى

ذكر الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ بعض العلامات الدالة على قرب الساعة بطريقة الاستنباط من نصوص الوحي، مما يدلّ على سعة علمه وفهمه للنصوص وقوة ملكته.

ومن العلامات التي ذكرها الشيخ رحمه الله: قيام دولة لليهود في آخر الزمان؛ فقد سئل رحمه الله: هل في الكتاب والسنة ما يدلّ على قيام دولة لليهود في آخر الزمان؟ فأجاب رحمه الله: «إنه ثبت في الصحيح عن النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يدلّ بالعلامة المعروفة عند الأصوليين بدلالة الإشارة على وجود دولة لهم في آخر الزمان. أما النصّ الذي دلّ على ذلك بدلالة الإشارة: فقوله، صلى الله عليه وسلم: «لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر، وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله» رواه البخاري بهذا اللفظ[1]، ومسلم[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه. . . . فهذا نصّ صحيح من النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه لابد من قتال المسلمين واليهود حتى تكون عاقبة النصر والظفر للمؤمنين. والمقاتلة بحسب الوضع اللغوي تقتضي وجود القتال من طائفتين مقتتلتين؛ لأنّ المفاعلة تقتضي الطرفين وضعا، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «تقاتلوا اليهود.» على وجود جنس مقاتل من اليهود. وذلك إنما يكون من طائفة

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٣٢.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٣٩.

متحدة الكلمة تحت طاعة أمير يقاتل بهم، وذلك هو معنى دلالة الحديث على وجود دولة في آخر الزمان؛ لأنهم لو كانوا دائماً عليهم مضمون قوله تعالى: ﴿وقطعناهم في الأرض أمماً﴾(١)، وكانوا متفرقين غير مجتمعين أبداً تحت أمير على كلمة واحدة: ما صحّ قتالهم مع المسلمين الذي نصّ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الصحيح» (٢).

من العلامات الصغرى:

وفي مقابل ذلك: فالشيخ رحمه الله يؤكد أنّ الإسلام سيظهر في آخر الزمان كما أظهره الله في أوله، فقال رحمه الله: «الدين فيما مضى ظهر على جميع الأديان، وعلى الدول الكبار المعروفة؛ كالدولة الكسروية، والدولة القيصرية، ولم يبق منهم إلا من يعطي الجزية عن يد وهو صاغر، أو مسلم. وانتشر في أقطار الدنيا في شرقها وغربها، وظهر على كلّ الأديان، وسيأتي ذلك في آخر الزمان أيضاً، كما جاء في أحاديث صحيحة كثيرة: أنه لايبقى في آخر الزمان أحد إلا كان مسلماً، ولم يكن في المعمورة غير دين الإسلام؛ هذا معنى قوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾(٣)، ولو كره المشركون إظهاره» (٤).

ولعلّ مما يستشهد به في هذه المسألة قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾(٥)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت

(١) سورة الأعراف، الآية[١٦٨].
(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ص ٢٣٨-٢٣٩ .
(٣) سورة التوبة، الآية [٣٣].
(٤) الشريط رقم [٥] من تفسير سورة التوبة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ الآية [٣٣].
(٥) سورة النور، الآية [٥٥].

مشارقها ومغاربها، وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها . .»(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إنه سيفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها . .»(٢).

والشيخ رحمه الله لم يفصّل في ذلك الانتصار الكبير، متى يتحقق؟ وعلى يد من يكون؟

وقد ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله عن بعض العلماء أن ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة(٣).

ويرى بعض المفسرين المعاصرين أن ذلك قبل عيسى، وأن الإسلام ستكون له الغلبة قبل قيام الساعة (٤). والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٥.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٣٦٦.
(٣) جامع البيان ١٠/ ١١٦.
(٤) تفسير المنار ١٠/ ٣٩٢.

المطلب الثاني

نزول عيسى عليه السلام

من أشراط الساعة الكبرى: نزول عيسى عليه السلام من السماء حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الدجال والخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بشريعة الإسلام. ويظهر يأجوج ومأجوج فيدعو عليهم فيموتوا ببركة دعائه[1].

ثمّ يمكث في الأرض سبع سنين[2]، فينتشر الأمن في الأرض، وتظهر الأرض بركاتها؛ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لايقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»[3].

وقد تحدث الشيخ الأمين رحمه الله، عن نزول عيسى عليه السلام، وأنه من علامات الساعة؛ فقال رحمه الله، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة فلاتمترنّ بها﴾[4]:

«التحقيق أنّ الضمير في قوله: ﴿وإنه﴾ راجع إلى عيسى، لا إلى القرآن، ولا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم. ومعنى قوله: ﴿لعلم للساعة﴾ على القول الحقّ الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة، هو أنّ نزول عيسى في آخر الزمان حيا علم للساعة؛ أي علامة

(١) انظر: النهاية لابن كثير ١/ ١٩٤. وشرح الطحاوية ص٥٦٥.
(٢) راجع صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٨-٢٢٥٩.
(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٤٣.
(٤) سورة الزخرف، الآية [٦١].

لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها»[1].

وقد تطرق الأمين رحمه الله عند ذكره لنزول عيسى عليه السلام إلى شبهة يعتقدها من لاتحقيق عندهم بزعمهم أنّ عيسى قد توفي،[2] مثل اعتقاد ضلال اليهود والنصارى. ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ﴾[3]، وبقوله تعالى: ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾[4]. وقد رد رحمه الله هذا الفهم، وبين أنه لادلالة في الآيتين على أن عيسى عليه السلام قد توفي.

وقد استعان الشيخ الأمين رحمه الله، في ردّ مفهومهم بعلوم اللغة أثناء تفسيره لهاتين الآيتين، وذكر اختلاف أهل الأصول في الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية. وقد أطال رحمه الله في تقرير ذلك.

وخلاصة كلامه رحمه الله أنه جعل لقوله تعالى: ﴿إني متوفيك﴾ أربعة توجيهات للمراد بالوفاة، كلها تنفي مزاعم من قال بوفاته عليه السلام، وقد بين هذه التوجيهات بقوله: «**الأول:** إنّ قوله تعالى: ﴿متوفيك﴾ لايدلّ على تعيين الوقت، ولايدلّ على كونه قد مضى. وهو متوفيه قطعاً يوماً ما، ولكن لادليل على أنّ ذلك اليوم قد مضى. وأما عطفه: ﴿ورافعك إليّ﴾ على قوله: ﴿متوفيك﴾ فلا دليل فيه؛ لإطباق جمهور أهل اللسان العربي على أنّ الواو لاتقتضي الترتيب ولا الجمع، وإنما تقتضي مطلق التشريك»[5].

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٢٦٣.

(٢) انظر كلام الشيخ محمد عبده في تفسير المنار ٣/ ٣١٦-٣١٧، والشيخ محمود شلتوت في الفتاوى ص ٥٩-٨٢؛ حيث أنكرا رفع عيسى ببدنه، ونزوله في آخر الزمان، وقالا عن الأحاديث: إنها أحاديث آحاد.

(٣) سورة آل عمران، الآية [٥٥].

(٤) سورة المائدة، الآية [١١٧].

(٥) دفع إيهام الاضطراب- الملحق بالأضواء ١٠/ ٥١-.

ثمّ ذكر رحمه الله التوجيه **الثاني والثالث**، فقال: «إنّ معنى «متوفيك» أي مُنيمك. ورافعك إليّ: أي في تلك النومة. وقد جاء في القرآن إطلاق الوفاة على النوم في قوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾[1]، وقوله: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾[2]، وعزا ابن كثير هذا القول للأكثرين، واستدلّ بالآيتين المذكورتين[3].

الوجه الثالث: أنّ متوفيك، اسم فاعل توفاه، إذا قبضه وحازه إليه، ومنه قولهم: توفى فلان دينه؛ إذا قبضه إليه. فيكون معنى «متوفيك» على هذا: قابضك منهم إليّ حيا. وهذا القول هو اختيار ابن جرير[4]. وأما الجمع بأنه توفاه ساعات أو أياماً، ثمّ أحياه، فالظاهر أنه من الإسرائيليات. وقد نهى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن تصديقها وتكذيبها[5].

ثمّ قال رحمه الله: « وأما **الوجه الرابع** من الأوجه المذكورة سابقاً: أن الذين زعموا أنّ عيسى قد مات، قالوا: إنه لاسبب لذلك الموت، إلا أنّ اليهود قتلوه وصلبوه. فإذا تحقق نفي هذا السبب وقطعهم أنه لم يمت بسبب غيره تحققنا أنه لم يمت أصلاً. وذلك السبب الذي زعموه منفيّ يقيناً بلا شك؛ لأنّ الله جل وعلا قال: ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه﴾[7]. وضمير رفعه ظاهر في رفع الجسم والروح معاً كما لايخفى»[8].

(١) سورة الأنعام، الآية [٦٠].
(٢) سورة الزمر، الآية [٤٢].
(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٦.
(٤) تفسير الطبري ٣/ ٢٩١ .
(٥) دفع إيهام الاضطراب- الملحق بالأضواء ١٠/ ٥١-٥٢-.
(٦) سورة النساء، الآية [١٥٧].
(٧) سورة النساء، الآيتان [١٥٧-١٥٨].
(٨) أضواء البيان ٧/ ٢٧٣.

أما الآية الثانية؛ وهي قوله تعالى: ﴿فلما توفيتني﴾: فقد نفى الشيخ الأمين رحمه الله دلالتها على موت عيسى عليه السلام من وجهين، فقال رحمه الله:

«**الأول** منهما: أنّ عيسى يقول ذلك يوم القيامة، ولاشك أنه يموت قبل يوم القيامة؛ فإخباره يوم القيامة بموته لايدلّ على أنه الآن قد مات كما لايخفى.

والثاني منهما: أنّ ظاهر الآية أنه توفي رفع وقبض للروح والجسد، لاتوفي الموت. وإيضاح ذلك: أنّ مقابلته لذلك التوفي بالديمومة فيهم، في قوله: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني﴾ الآية[1] تدلّ على ذلك؛ لأنه لو كان توفي موتاً لقال: ما دمت حياً، فلما توفيتني؛ لأنّ الذي يقابل بالموت هو الحياة؛ كما في قوله: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾[2]. أما التوفي المقابل بالديمومة فيهم فالظاهر أنه توفي انتقال عنهم إلى موضع آخر. وغاية ما في ذلك هو حمل اللفظ على حقيقته اللغوية مع قرينة صارفة عن قصد العرفية. وهذا لا إشكال فيه». [3]

وفي الختام، يقول رحمه الله: «والحاصل أن القرآن العظيم على التفسير الصحيح، والسنة المتواترة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، كلاهما دالّ على أنّ عيسى حيّ، وأنه سينزل في آخر الزمان، وأنّ نزوله من علامات الساعة، وأنّ معتمد الذين زعموا أنهم قتلوه، ومن تبعهم هو: إلقاء شبهه على غيره، واعتقادهم الكاذب أنّ ذلك المقتول الذي هو شبه بعيسى هو عيسى»[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية [١١٧].

(٢) سورة مريم، الآية [٣١].

(٣) أضواء البيان ٧/ ٢٧١-٢٧٢. وانظر المصدر نفسه ١/ ٣٤٢. ٧/ ٢٦٣-٢٧٥. ودفع إيهام الاضطراب - الملحق بالأضواء ١٠/ ٥٠-٥٢.

(٤) أضواء البيان ٧/ ٢٧٣.

فالشيخ رحمه الله يأبى المسلك الذي يصادم التفسير الصحيح والسنة المتواترة.

وما ذهب إليه الشيخ رحمه الله هو مذهب أساطين أئمة المفسرين؛ كالطبري[1]، والقرطبي[2]، وابن تيمية[3]، وابن كثير[4].

(١) انظر تفسير الطبري ٣/ ٢٩١

(٢) انظر تفسير القرطبي ٤/ ٦٥ .

(٣) انظر فتاوى شيخ الإسلام ٤/ ٣٢٢-٣٢٣.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٦-٣٦٧.

المطلب الثالث

خروج يأجوج ومأجوج

خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى.

وقد دلّ على خروجهم الكتاب والسنة؛ فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كلّ حدب ينسلون﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ثمّ أتبع سبباً* حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لايكادون يفقهون قولاً* قالوا ياذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾[2].

وأما من السنة فما روته زينب بنت جحش، رضي الله عنها: أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل عليها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»، وحلق بأصبعيه؛ الإبهام والتي تليها. قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: «نعم إذا كثر الخبث»[3].

ومنها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري، رضي الله عنه، قال: اطلع النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: : نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات»، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول

---

(١) سورة الأنبياء، الآية [٩٦].

(٢) سورة الكهف، الآيات [٩٢-٩٤].

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٠٩. وصحيح مسلم ٤/ ٢٢٠٧.

عيسى عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[1].

وقد سلك الشيخ الأمين رحمه الله مسلك السلف في الإيمان بهذه العلامة التي تكون في آخر الزمان دليلاً على قرب قيام الساعة؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا﴾[2]: «إنّ هذه الآية الكريمة، وآية الأنبياء قد دلتا في الجملة على أنّ السدّ الذي بناه ذو القرنين دون يأجوج ومأجوج إنما يجعله الله دكاً عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه، وقد دلتا على أنه بقرب يوم القيامة؛ لأنه قال هنا: ﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً * وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور..﴾[3]»[4].

ثمّ تعرض رحمه الله إلى زعم المعاصرين أنّ يأجوج ومأجوج هم روسية، وأنّ السدّ فتح منذ زمن طويل[5]، فردّ هذا القول وفنّده لمصادمته للنصوص الصريحة، وحكى شبهتهم وبين تفاهتها؛ فقال رحمه الله:

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٢٥-٢٢٢٦.
(٢) سورة الكهف، الآية[٩٨]
(٣) سورة الكهف، الآيتان [٩٨-٩٩].
(٤) أضواء البيان ٤/ ١٨١.
(٥) لم أجد من ذكر أنهم روسية، إلا أنّ الشيخ سيد قطب رحمه الله يرى (في كتابه ظلال القرآن ٤/ ٢٢٩٤) من باب الترجيح لامن باب اليقين أنّ يأجوج ومأجوج هم التتار الذين دمروا الخلافة العباسية وأفسدوا في الأرض.
وللشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله رسالة مطبوعة ضمن كتاب الصين، جمع/ الشيخ عبد العزيز المسند ص٧٧، أثبت فيها أنّ يأجوج ومأجوج هم دول الكفر الموجودة الآن من الروس وغيرهم من أمم الكفر، لكنه رحمه الله يرى في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن ٥/ ٢٦٣) أنهم أمة تخرج في آخر الزمان، وأنّ السدّ باق إلى الآن.
وقد أثبت د/ عبد الرزاق العباد في رسالته «الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة»(ص٥٥) أن التفسير آخر مؤلفات الشيخ السعدي، فلعله رجع عن قوله هذا.

«فإذا قيل: إنما تدلّ الآيات المذكورة في الكهف والأنبياء على مطلق اقتراب يوم القيامة؛ من دكّ السدّ واقترابه من يوم القيامة، لاينافي كونه قد وقع بالفعل، كما قال تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ الآية[1]. وقال: ﴿اقتربت الساعة وانشقّ القمر﴾[2]، وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها» الحديث[3] . . . . فقد دلّ القرآن والسنة الصحيحة على أنّ اقتراب ما ذكر لايستلزم اقترانه به، بل يصح اقترابه مع مهلة، فلا ينافي دكّ السدّ الماضي المزعوم الاقتراب من يوم القيامة، فلا يكون في الآيات المذكورة دليل على أنه لم يدكّ السدّ إلى الآن»[4].

وقد أجاب رحمه الله على هذه الشبهة، فقال: «فالجواب ما قدمنا أنّ هذا البيان بهذه الآيات ليس وافياً بتمام الإيضاح إلا بضميمة السنة له، ولذلك ذكرنا أننا نتمم مثله من السنة لأنها مبينة للقرآن»[5].

ثمّ ساق رحمه الله حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل، المرفوع إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفيه: «فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أن قد أخرجت عباداً لي لايدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كلّ حدب ينسلون، فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء. ويحصر نبيّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبيّ

(١) سورة الأنبياء، الآية[١]
(٢) سورة القمر، الآية[١].
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أضواء البيان ٤/ ١٨٢-١٨٣.
(٥) المصدر نفسه ٤/ ١٨٣.

الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف[1] في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة. ثمّ يهبط نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت[2] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثمّ يرسل الله مطراً لايكنّ منه بيت مدر[3] ولاوبر[4]، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[5]، ثمّ يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك.»[6][7].

ثم عقب رحمه الله على هذا الحديثبقوله: «وهذا الحديث الصحيح قد رأيت فيه تصريح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن الله يوحي إلى عيسى ابن مريم خروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدجال.

فمن يدعي أنهم روسية، وأن السد قد اندك منذ زمان فهو مخالف لما أخبر به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخالفة صريحة لاوجه لها. ولاشك أن كل خبر ناقض خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فهو باطل، لأن نقيض الخبر الصادق كاذب ضرورة كما هو معلوم. ولم يثبت في كتاب الله ولاسنة نبيه صلى الله عليه وسلم شيء يعارض هذا الحديث

---

(١) النغف عند العرب: ديدان تولد في أجواف الحيوان من الناس وغيرهم. وفي أنوف الإبل والغنم. (انظر تهذيب اللغة ٨/ ١٤٦).

(٢) البخت: معرب، وهو الإبل الخراسانية، تنتج بين الإبل العربية والفالج. (انظر تهذيب اللغة ٧/ ٣١٢).

(٣) المدر: قطع الطين اليابس. ومنه سميت القرية المبنية بالطين واللبن: المدرة. (انظر تهذيب اللغة ١٤/ ٢٢١-٢٢٢).

(٤) الوبر: الوبر صوف الإبل والأرنب وما أشبهها. (انظر تهذيب اللغة ١٥/ ٢٦٤).

(٥) الزلف: وجه المرآة. ويقال: البركة تطفح مثل الزلف. وقيل: الصحفة، وقيل: الروضة. (انظر تهذيب اللغة ١٣/ ٢١٢).

(٦) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٥٣ - ٢٢٥٤.

(٧) أضواء البيان ٤/ ١٨٣.

الذي رأيت صحة سنده، ووضوح دلالته على المقصود»[1].

ثم ذكر الشيخ الأمين رحمه الله شبهة عقلية توصلوا بها إلى نفي وجود يأجوج ومأجوج وراء السد إلى الآن، وهي زعمهم أنه لو كانوا وراء السد الآن لاطلع عليهم الناس، لتطور وسائل المواصلات، لكن لما لم يطلع عليهم أحد فليسوا وراء السد. وبذلك نفوا وجودهم.

وقد نقض الشيخ الأمين رحمه الله هذه الشبهة العقلية، وردّ عليها، فقال: «فقولكم: لو كانوا موجودين وراء السدّ إلى الآن لاطلع عليهم الناس - غير صحيح؛ لإمكان أن يكونوا موجودين والله يخفي مكانهم على عامة الناس حتى يأتي الوقت المحدد لإخراجهم على الناس. ومما يؤيد إمكان هذا ما ذكره الله تعالى في سورة المائدة من أنه جعل بني إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة، وذلك في قوله: ﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ الآية[2]؛ وهم في فراسخ قليلة من الأرض يمشون ليلهم ونهارهم، ولم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمد التيه؛ لأنهم لو اجتمعوا بالناس لبينوا لهم الطريق. وعلى كلّ حال فربك فعّال لما يريد، وأخبار رسوله - صلى الله عليه وسلم - الثابتة عنه صادقة.»[3].

فالشيخ رحمه الله، لايرضى هذا القول الذي يمسّ العقيدة ويصادمها، والذي ينبني على أدلة باطلة وتوهمات فاسدة، بل يقف رحمه الله أمامه فيكشف عواره، ويرده بالحجج القوية والبراهين الناصعة ليحصل الاطمئنان إلى المعتقد الصحيح، وليزهق الباطل وينتصر الحقّ.

وما ذكره الشيخ الأمين رحمه الله في يأجوج ومأجوج، ووضحه بأسلوبه القويّ المقنع، وفنّد أقوال أصحاب التأويلات الفاسدة في هذا

(١) المصدر نفسه ٤/ ١٨٥.
(٢) سورة المائدة، الآية[٢٦]
(٣)أضواء البيان ٤/ ١٨٦.

الباب، كلّ ذلك من الأدلة على اقتفائه أثر سلف هذه الأمة رحمهم الله الذين وضحوا هذا المعتقد أيما إيضاح، وردوا على المخالفين لهذه العقيدة المبنية على الكتاب والسنة.

فهذا ابن قدامة رحمه الله يقول: «ويجب الإيمان بكلّ ما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وسلم، وصحّ به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا؛ نعلم أنه حقّ وصدق. وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه؛ مثل حديث الإسراء والمعراج، . . . ومن ذلك أشراط الساعة؛ مثل خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صحّ به النقل»[1].

وقال شارح الطحاوية: «وأحاديث الدجال، وعيسى بن مريم عليه السلام ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم، يضيق هذا المختصر عن بسطها»[2]

(١) لمعة الاعتقاد ص ص٢٤، ٢٥، ٢٦.
(٢) شرح الطحاوية ص ٥٦٥.